٥٦

اعتقاد

أبي عثمان الصابوني
إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد

(٤٤٩هـ) رحمه الله

وفيه:

الوصية بلزوم السنة واعتقاد السلف

التعريف بصاحب العقيدة

الاسم: إسماعيل بن عبد الرحمٰن بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم النيسابوري.

الكنية: أبو عثمان.

الشهرة: شيخ الإسلام الصابوني.

ولد: (٣٧٣هـ).

الوفاة: (٤٤٩هـ) رحمه الله.

الثناء عليه:

قال أبو عبد الله المالكي: أبو عثمان ممن شهدت له أعيان الرجال بالكمال في الحفظ والتفسير.

وقال عبد الغافر: شيخ الإسلام، المفسِّر المحدِّث الواعظ، أوحد وقته في طريقه، وعظ المسلمين سبعين سنة، وخطب وصلى في الجامع نحوًا من عشرين سنة.

قال الذهبي: ولقد كان من أئمة الأثر.

مصادر الترجمة:

«السير» (١٨/ ٤٠).

مجمل العقيدة:

هذه الوصية من الصابوني رَحِمَهُ اللَّهُ بلزوم معتقد السلف الصالح، وهي تمثل معظم أبواب السُّنة والاعتقاد.

وفي هذه الوصية كذلك بعض الأفعال المشروع فعلها عند المحتضر، وبعد موته.

مصدر العقيدة:

استخرجت هذه الرسالة من كتاب «طبقات الشافعية الكبرى»، قال في ترجمته: وهذه وصيته، وقد حدَّث بها بدمشق عند دخوله إليها حاجًّا... ثم ذكرها.

وقد اعتمدت على نسخة خطيَّة من «الطبقات»، ثم قابلتها بنشرة دار هجر (٤/ ٢٨٥) فقد حققت على عدة نسخ خطية. وما كان من زيادات من المطبوع فإني أجعلها بين معكوفتين [ ].

صورة المخطوط

ﷺ قال أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمٰن الصابوني رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا ما أوصى به إسماعيل بن عبد الرحمٰن بن إسماعيل أبو عثمان الصَّابوني، الواعظ غير المُتَّعِظ، المُوقظ غير المُتيقِّظ، الآمر غير المُؤتمِر، الزَّاجر غير المُنزجِر، المُعلِّم المُحرف[1]، المنذر المُخرِّف[2]، المُخلِّط، المُفرِّط، المُسرِف، المُقترف السَّيئات المُعترف، الواثق مع ذلك رحمة الله، الرَّاجي سبحانه، المُراجي لمغفرته، المُحبّ لرسول الله ﷺ وشيعته، الدَّاعي النَّاس إلى التَّمسُّكِ بسنَّته وشريعته.

١ ـ أوصى وهو يشهد أن لا إلٰه إلَّا الله، وحده لا شريك له، إلهًا واحدًا أحدًا، فردًا صمدًا، لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا، ولم يشرك في حكمه أحدًا، الأول الآخر، الظَّاهر الباطن، الحي القيوم، الباقي بعد فناء خلقه، المطلع على عباده، العالم بخفيات الغيوب، الخبير بضمائر القلوب، المبدىء المعيد، الغفور الودود، ذو العرش المجيد، الفعَّال لما يريد، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، هو مولانا فنعم المولى ونعم النصير.

٢ ـ يشهد بذلك كلِّه مع الشاهدين، مقرًّا بلسانه على صحة اعتقاد، وصدق يقين، ويتحملها عن المنكرين الجاحدين، ويُعدُّها ليوم الدين، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

(١) كذا في الأصل، وفي المطبوع: (المتعلم المعترف).
(٢) كذا في الأصل، وفي المطبوع: (المخوف).

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ [الدخان].

٣ ـ ويشهد أن محمدًا ﷺ عبده ورسوله، أظهره[(١)] بالهدى ودين الحقِّ، ليظهره على الدينِ كُلِّه ولو كره المشركون.

٤ ـ ويشهد أن الجنَّة حقٌّ، وجملة ما أعدَّ الله تبارك وتعالى فيها لأوليائه حقٌّ، ويسأل مولاه الكريم جلَّ جلاله أن يجعلها مأواه ومثواه، فضلًا منه وكرمًا.

٥ ـ ويشهد أن النَّار وما أعدَّ الله فيها لأعدائه حقٌّ، ويسأل الله مولاه أن يجيره منها، ويزحزحه عنها، ويجعله من الفائزين الذين قال الله ﷻ [فيهم][(٢)]: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران]

٦ ـ ويشهد أن صلاته ونسكه ومحياه ومماته لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أُمر وهو من المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

٧ ـ وأنه رضيَ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، وبالقرآن إمامًا، على ذلك يحيا وعليه يموت إن شاء الله ﷻ.

٨ ـ ويشهد أن الملائكة حقٌّ، وأن النَّبيين حقٌّ، وأن السَّاعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

٩ ـ ويشهد أن الله ﷻ قدَّرَ الخير وأمر به، ورضيه، وأحبَّه، وأراد كونه من فاعله، ووعد حسن الثواب على فعله.

---

(١) في المطبوع: (أرسله).
(٢) ما بين [ ] يقتضيها السياق

وقدَّر الشَّرَّ، وزجرَ عنه، ولم يرضه، ولم يُحبه، وأراد كونه من مرتكبه، غير راضٍ به، ولا محبّ له، تعالى ربنا عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا، وتقدَّس أن يأمر بالمعصية، أو يحبها ويرضاها، وجلَّ أن يقدر العبد على فعل شيء لم يقدره عليه، أو يحدث من العبد ما لا يريده ولا يشاؤه.

١٠ ـ ويشهد أن القرآن كتاب الله وكلامه، ووحيه وتنزيله، غير مخلوق، وهو الذي في المصاحف مكتوبٌ، وبالألسنةِ مقروءٌ، وفي الصُّدور محفوظٌ، وبالآذان مسموعٌ، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

وقال: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت: ٤٩].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٢٩].

وقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ [يس: ٦٩].

١١ ـ ويشهد أن الإيمان تصديق بالقلب بما أمر الله أن يصدق به، وإقرار باللسان بما أمر الله أن يقرَّ به، وعمل بالجوارح بما أمر الله أن يعمل به، وانزجار عما زجر عنه من كسب قلبٍ، وقول لسان، وعمل جوارح وأركان.

١٢ ـ ويشهد أن الله ﷻ مستوٍ على عرشه، استوى عليه كما بينه [في كتابه]، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ [الفرقان: ٥٩]، في آيات أخر.

والرسول ﷺ تسليمًا ذكره فيما نُقل عنه، من غير أن يكيف استواءه عليه، أو يجعل لفعله وفهمه أو وهمه سبيلًا إلى إثبات كيفيته، إذ الكيفية عن(١) صفات ربنا منفية.

قال إمام المسلمين في عصره أبو عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه في جواب من سأله عن كيفية الاستواء: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأظنك زنديقًا، أخرجوه من المسجد.

١٣ ـ ويشهد أن الله تعالى موصوف بصفاته العلى، التي وصف بها نفسه في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ تسليمًا كثيرًا لا ينفي شيئًا منها، ولا يعتقد شبهًا لها بصفات خلقه، بل يقول: إن صفاته لا تشبه صفات المربوبين، كما لا تشبه ذاته ذات المحدثين، تعالى الله عما يقول المعطلة والمشبهة علوًّا كبيرًا.

١٤ ـ ويسلك في الآيات التي وردت في ذكر صفاتِ البارئ جلَّ جلاله والأخبار التي صحَّت عن رسول الله ﷺ في بابها:

كآيات مجيء الرَّبِّ يوم القيامة، وإتيان الله في ظللٍ من الغمام، وخلق آدم بيده، واستوائه على عرشه، وكأخبار نزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا، والضَّحك، والنَّجوى، [و] وضع الكنف على من يناجيه يوم القيامة وغيرها(٢) مسلك السَّلف الصالحين وأئمَّة الدِّينِ من:

(١) في الأصل: (إذا الكيفية غير). وما أثبته من المطبوع.

(٢) في الأصل: (وعدها). وما أثبته من المطبوع.

قبولها، وروايتها على وجهها، بعد صحَّة سندها، وإمرارها على ظاهرها، والتصديق بها، والتسليم لها، واتقاء اعتقاد الكيف والتشبيه فيها، واجتناب ما يؤدي إلى القول بردِّها، وترك قبولها، أو تحريفها بتأويل مُستنكر مُستكره، ولم ينزل الله به سلطانًا، ولم يجرِ به للصَّحابة(١) والتابعين والسَّلف الصَّالحين لسان.

١٥ ـ وينهى في الجملة عن الخوضِ في الكلامِ، والتَّعمق فيه، والاشتغال بما كره السَّلف رحمهم الله الاشتغال به، ونهوا وزجروا عنه، فإن الجدال فيه، والتعمق في دقائقه، والتَّخبّط في ظلماته كلّ ذلك يفسد القلب، ويسقط منه هيبة الرَّبِّ جلَّ جلاله، ويوقع الشُّبه الكثيرة فيه، ويسلب البركة في الحالِ، ويهدي إلى الباطل والمحال، والخصومة في الدِّين والجدال، وكثرة القيلِ والقال في الرَّبِّ ذي الجلال الكبير المُتعال، ﷻ عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

الحمد لله على ما هدانا من دينه وسنَّة نبيه صلوات الله وسلامه عليه حمدًا كثيرًا.

١٦ ـ ويشهد أن القيامة حقٌّ، وكلَّ ما ورد به الكتاب والأخبار الصِّحاح من أشراطها، وأهوالها، وما وعدنا وأُوعِدْنا به فيها، فهو حقٌّ نُؤمن به، ونُصدِّق الله سبحانه ورسوله ﷺ فيما أخبر به عنه؛ كالحوضِ، والميزانِ، والصِّراطِ، وقراءة الكتب، والحساب، والسُّؤال، والعرض، والوقوف، والصَّدَر عن المحشر

(١) في الأصل: (الصحابة)، وما أثبته من المطبوع، وبه يستقيم إعراب الكلام.

إلى جنَّةٍ أو نارٍ مع الشَّفاعة الموعودة لأهل التوحيد، وغير ذلك مما هو مُبيَّنٌ في الكتابِ، ومُدوَّنٌ في الكتب الجامعة لصحاح الأخبار.

١٧ ـ ويشهد بذلك كله في الشَّاهدين، ويستعين بالله تبارك وتعالى في الثبات على هذه الشَّهادات إلى الممات حتَّى يتوفَّى عليها من جُملة المسلمين المؤمنين، الموقنين الموحِّدين.

١٨ ـ ويشهد أن الله تعالى يمُنُّ على أوليائه بوجوه ناضرة إلى ربها ناظرة، ويرونه عيانًا في دار البقاء، لا يُضارُّون في رُؤيته، ولا يُمارون، ولا يُضامُّون.

ويسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل وجهه من تلك الوجوه، ويقيه كل بلاء وسوء ومكروه، ويُبلِّغه كلّ ما يؤمله من فضله ويرجوه بمنِّه.

١٩ ـ ويشهد أن خير النَّاس بعد رسول الله: أبو بكر الصِّديق، ثم عُمرُ الفاروق، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين.

٢٠ ـ ويترحَّم على جميع الصَّحابة ﷺ، ويتولَّاهم ويَستغفر لهم، وكذلك ذريته وأزواجه أُمَّهات المؤمنين رضي الله عنهن.

ويسأل الله تعالى أن يجعله معهم، ويرجو أن يفعله به، فإنَّه قد صحَّ عنده من طرق شتَّى أن رسول الله ﷺ قال: **«المرءُ معَ مَن أحبَّ»**[(١)].

---

(١) رواه البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٣٩) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

٢١ ـ ويوصي إلى من يخلفه من ولد وأخ، وأهل وقريب، وصديق، وجميع من يقبل وصيَّته من المسلمين عامة، أن يشهدوا بجميع ما شَهِدَ به، وأن يتقوا الله حقَّ تقاته، ولا يموتوا إلَّا وهم مسلمون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل].

٢٢ ـ ويُوصيهم بصلاح ذاتِ البينِ، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجيران، والأقارب والإخوان، [ومعرفة حق الأكابر]، والرحمة على الأصاغر.

٢٣ ـ وينهاهم عن التدابر والتباغض، والتَّقاطع والتَّحاسد.

٢٤ ـ ويأمرهم أن يكونوا إخوانًا، وعلى الخيرات أعوانًا.

٢٥ ـ وأن يعتصموا بحبل الله جميعًا ولا يتفرقوا.

٢٦ ـ ويتبعوا الكتاب والسُّنة، وما كان عليه علماء الأمة، والأئمَّة؛ كمالك بن أنس، والشَّافعي، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن إبراهيم، ويحيى بن يحيى، وغيرهم من أئمَّة المسلمين، وعلماء المؤمنين، رضي الله عنهم أجمعين، وجمع بيننا وبينهم في ظلِّ طوبى ومستراح العابدين.

٢٧ ـ أوصى بهذا كله إسماعيل بن عبد الرحمٰن الصابوني إلى أولاده، وأهله، وأصحابه، ومختلف مجالسه.

٢٨ ـ وأوصى أنه إذا نزلت به المنية التي لا شكَّ أنَّها نازلة، ـ والله يسأل خير ذلك اليوم الذي تنزل المنية به فيه، وخير تلك الليلة التي ينزل به فيها، وخير تلك السَّاعة، وخير ما قبلها، وخير ما بعدها ـ، أن يلبس لباسًا حسنًا[١] طيِّبًا، طاهرًا نقيًّا، ويوضع

---

(١) في الأصل: (حسرة) وما أثبته من المطبوع.

على رأسه العمامة التي كان يَشُدُّها في حال الحياة، وضعًا على الهيئة التي كان يضعها على رأسه أيام حياته، ويُوضعُ الرِّداء على عاتقيه، ويضجع مُستلقيًا على قفاه، موجِّهًا إلى القبلة، ويجلس أولاده عند رأسه، ويضعوا المصاحف على حجورهم، ويقرؤوا القرآن جهرًا.

٢٩ ـ وحرَّج عليهم أن يُمكِّنوا امرأةً لا قرابة بينه وبينها، ولا نسبٍ ولا سببٍ من طريق الزَّوجية، تَقرب من مضجعه تلك السَّاعة، أو تدخل بيتًا يكون فيه.

٣٠ ـ وكذلك يُحرِّج عليهم أن يأذنوا لأحدٍ من الرِّجال في الدخول عليه في تلك السَّاعة، بل يأمرون الأخ والأخوات وغيرهم أن يجلسوا في المدرسة، ولا يدخلوا الدار، وليساعدوا الأصحاب في قراءة القرآن، وإمداده بالدعاء، فلعل الله ﷻ [أن] يُهَوِّنَ عليه سكرات الموت، ويُسَهِّلَ له اقتحام عقبة الموت على الإسلام والسُّنة في سلامةٍ وعافية.

٣١ ـ وأوصى إذا قضى نحبه، وأجاب ربه، وفارقت روحه جسده، أن يُشدَّ ذقنه، ويُغمِّضَ عينيه، ويُمَدَّ أعضاؤه، ويُسجَّى بثوبٍ، ولا يُكشف عن وجهه ليُنظر إليه إلى أن يأتيه غاسله، فيحمله إلى مُغتسله، جعل الله ذلك الحمل مباركًا عليه، ونظر بعين الرحمة إليه، وغفر له ما قدَّمه من الأعمال السَّيئة بين يديه.

٣٢ ـ وأوصى ألَّا يُناحَ عليه، وأن يُمنع أولياؤه، وأقرباؤه، وأحباؤه، وجميع النَّاس من الرِّجالِ والنِّساء أنفسهم عن الشقِّ والحلق، والتخريق للثياب والتمزيق، وألا يبكوا عليه إلَّا بكاء حُزن

قلب، ودموع عينٍ لا يقدرون على ردهما ودفعهما، وأمَّا دعاءٌ بويلٍ ورن شيطان، وخمش وجوهٍ ولطمها، وحلق شعرٍ ونتفه، وتخريق ثوبٍ وتمزيقه وفتقه فلا، وهو بريءٌ ممن فعل شيئًا من ذلك، كما برىء النبي ﷺ منهم.

٣٣ ـ وأوصى أن يُعجَّلَ تجهيزه، وغسله، وتكفينه، وحمله إلى حفرته، ولا يُحبس، ولا يُبطأ به، وإن مات ضحوة النهار، أو وقت الزَّوال، أو بُكرةً فإنَّه لا يؤخَّر تجهيزه إلى الغدِ، ولا يُترك ميِّتًا بين أهله بالليلِ أصلًا، بل يُعجل أمره؛ فيُنقل إلى حفرته نقلًا بعد أن يُغسَّل وترًا ويجعل في آخر غسلة من غسلاته كافور ويُكفَّن في ثلاثة أثواب بيضٍ سحولية إن وجدت، فإن لم توجد سحولية؛ كُفِّنَ في ثلاثةِ أثوابٍ بيضٍ ليس فيها قميصٌ ولا عمامة، ويجمَّر كفنه وترًا لا شفعًا قبل أن يُلَّفَ عليه.

٣٤ ـ ويُسرعُ بالسير بجنازته، كما أمر به الرسول ﷺ، ويُحمل للصَّلاة عليه إلى ميدان الحسين، ويُصلِّي عليه ولده أبو نصر إن كان حاضرًا، فإن عجز عن القيام بالصَّلاة عليه فأمر الصَّلاة عليه إلى أخيه أبي يعلى، ثم يُرَّد إلى المدرسة فيُدفن فيها بين يدي والده الشهيد رضي الله عنه[(١)].

٣٥ ـ ويُلحدُ له لحدٌ، ويُنصب عليه اللَّبِنَ نصبًا، ولا يُشقُّ له شقٌّ.

---

(١) عقد الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: (باب لا يقال: فلان شهيد)، قال أبو هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ: «الله أعلم بمن يُجاهد في سبيله، والله أعلم بمن يُكْلَمُ في سبيله».

٣٦ ـ ولا يتخذ له تابوتٌ أصلًا، ولا يوضع في التابوت للحمل إلى المُصلَّى، وليوضع على الجنازة ملفوفًا في الكفن مُسجًّى بثوبٍ أبيض، ليس فيه إبريسم[١] بحال.

٣٧ ـ ولا يُطيَّن قبره، ولا يُجصَّص، ويُرَّش عليه الماء، ويُوضع عليه الحصا، ويمكث عند قبره مقدار ما يُنحر جزور، ويُقسم لحمه حتَّى يعلمَ ما يراجع به رسل ربه جل وعلا.

٣٨ ـ ويسأل الله تعالى على رأس قبره له التثبيت الموعود لجُملة المؤمنين في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ﴾ [ابراهيم: ٢٧].

٣٩ ـ ويُستغفر له ولوالديه، ولجميع المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، ولا يُنسى بل يُذكرُ بالدعاء، فإن المؤمن إذا قُبِرَ كان كالغريق المتغوِّث، ينتظر دعوة صالحة تلحقه.

٤٠ ـ ولا يُمكَّن أحدٌ من الجواري والنسوان أن يكشِفن رؤوسهن، وأن يندبنه في ذلك الوقت، بل يشتغل الكلُّ بالدعاء والاستغفار، لعلَّ الله ﷻ يهوِّن عليه الأمر في ذلك الوقت، ويُيسر خروج مُنكرٍ ونكيرٍ من قبره على الرِّضا منه، وينصرفان عنه وقد قالا له: (نم نومة العروس فلا روعة عليك)، ويفتحان في قبره بابًا إلى الجنَّة، فضلًا من الله ومِنَّة، فيفوز فوزًا عظيمًا، ويحوز ثوابًا[٢] كريمًا، ويلقى روحًا وريحانًا، وربًّا كريمًا رحيمًا.

آخر الوصية، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) ثياب من الحرير. «تهذيب اللغة» (٣/ ٢٧٦).
(٢) في الأصل: (ويفوز ثوابًا). وما أثبته من المطبوع.